لواء العمارة

Le liwâ d'Amârah.

١ — نظرة عامة فيه

اضطرب حبل الامن في جنوبي العراق عام ١٢٧٦ هـ بتمرد عشائر (البو محمد) على الحكومة العثمانية . فرفع زعيمها الكبير فيصل بن خليفة راية العصيان عليها . فاضطرت الحكومة الى سوق جيش لجب عليها قاد زمامه « اللواء محمد باشا الدياربكرلي) فكانت الحرب سجالا بين الطرفين . ثم انتهت بكسر فيصل بن خليفة وتنظيم الحكومة مقرا عسكريا لها على ضفة دجلة اليسرى اسماه الاهلون (الاوردي) وهي لفظة تركية معناها مقر الجيش ولا يزال هناك من يطلق هذا الاسم على البقعة التي انشئت فيها « العمارة » بعد قليل من الزمن .

ولما هدأت الحالة هناك وعادت السكينة الى مقرها والسيوف الى غمودها : نظمت الحكومة العثمانية « لواءا عسكريا » لحفظ الامن في هاتيك الربوع ولمشارفة سير جبايتها الاموال الاميرية وأنشأت لجيشها المقيم هناك عمارة فخمة للسكنى وللتحصن فيها عند الاقتضاء . وكان المجاورون لعمارة الجيش يفتحون بعض الحوانيت قياما بما يحتاج اليه الجند ثم انشأوا جملة مساكن لهم فانتشرت بذلك الحركة العمرانية واطلق الاهلون ورجال الحكومة كلمة « العمارة » على ذلك المقر العسكري . وبعد مضي حولين كاملين على الحركة التأديبية المار ذكرها نظمت الحكومة « قضاءا مدنيا » اطلقت عليه اسم « قضاء العمارة » فاخذ الاهلون يختلفون اليه من جهات نائية طمعا في وفرة الكسب وعذوبة الهواء ونشف الارض فاصبحت « العمارة » جنة غناء ومتنزها وتعد اليوم « باريس العراق » في نظر بعضهم لجمال موقعها وخصب تربتها وكان قائم مقامها اذ ذاك عبد القادر بك فأرخ الاخرس تاريخ انشاء العمارة قائلا :

قل لمن يسأل عن تأريخها (قد عمرت ايام عبدالقادر) (اي عام ١٢٧٨ هـ) (١٨٦١ م) وتقدر نفوسها بـ (١٩٣٠٠) نسمة وفيها رصيف على طوار النهر يبلغ طوله زهاء ٥ متر .

قلنا ان العمارة قائمة على ضفة دجلة اليسرى . اما الحقيقة فانها واقعة على رأس الزاوية الناشئة من الانهر الثلاثة : دجلة والكحلاء والمشرح (بفتح الراء وتشديده) فيها دار امارة فخمة ودار مكس متوسطة الكبر ومستشفى ملكي جميل ومدارس جديدة البناء وسوق طويلة مستقيمة ترى فيها الحوانيت مشيدة على نسق واحد وعدة قصور شاهقة وحمامات جميلة ويربطها بالجانب الايمن جسر من حديد انشأته سلطة الاحتلال . ومعظم مبانيها منشأ على الطراز الصحي ولا سيما الواقع منها على ساحل دجلة . ومما يزيد في بهائها وجود الكهربية فيها .

وفي العمارة الان ثلاثة أجسر احدها يربط ضفة « المشرح » الواحدة بالاخرى والثاني يصل ضفة نهر « الكحلاء » اليمنى بضفته اليسرى . والثالث وهو الحديدي يربط جانبي البلدة احدهما بالاخر وهذا الجسر اعظم الاجسر .

وكان فيها قطار حديدي ثم رفع بزوال الاحتلال البريطاني للعراق وانتهاء الحركات العسكرية فيه . والبلدة تبعد عن جنوبي بغداد ٣٥٨ ميلا بطريق النهر وتصلها بها جادة مستقيمة لسير السيارات التي تحمل الركاب من بغداد الى البصرة رأسا عن طريق دجلة . كما تربط السكة الحديدية بغداد بالبصرة عن طريق الفرات وتسير البواخر والزوارق التجارية في دجلة مارة بالكوت والعمارة وهما من اهم مرافئها .

٢ — حدود اللواء وتوزيع اراضيه

تقع اراضي لواء العمارة على ضفاف دجلة والكحلاء والمشرح وتمتد من جنوبي لواء الكوت حتى حدود لواء البصرة وتحاذيه جبال بشتكوه الايرانية الشهيرة . وهذه الجبال تفيد بعض مزارع اللواء البعيدة عن دجلة او عن النهيرات المتشعبة من دجلة فوائد عظيمة لانها تسقيها بينابيع المياه التي تتفجر فيها . ويحده من الشمال اراضي السودة على ضفة دجلة اليسرى واراضي عشيرة المقاصيص على ضفة دجلة اليمنى ويحده من الجنوب اراضي الكسارة المحاذية لناحية العزير (بالتصغير) العائد الى لواء البصرة ومن الشرق اراضي الحويزة الايرانية وجبال بشتكوه ومن الغرب بطيحة الغراف فالبطائح الشهيرة في التاريخ المتصلة باراضي لواء المنتفق

وطريقة توزيع الاراضي الزراعية في هذا اللواء لا تشبه الطرق المتبعة في بقية الالوية . بل توزع على شيوخ القبائل بطريق الاقدان المعروفة في القرون الوسطى بأن يعطى الشيخ الفلاني المقاطعة الفلانية لمدة تتراوح بين السنتين والخمس سنوات ويكون الشيخ في غضون هذه المدة حر التصرف فيها لا ينازعه اياها منازع ولا يلتزم بتشغيل الفلاح الفلاني او ارضاء الشيخ الفلاني او خطب ود الحكومة . ولقد بحت اصوات الناقمين على هذه السياسة المتبعة منذ تأسيس لواء العمارة ولكن الحكومة لا تصغي الى نقد الناقدين او صراخ المستغيثين اعتقادا منها ان من شأن هذه الطريقة في توزيع الاراضي الزراعية مد ظلال الامن على جميع ربوع اللواء في حين ان الالوية التي تعطى فيها الاراضي الاميرية بطريق « التسقام » اي التكليف تسعر نار الفتن والاضطرابات فيها بين آونة واخرى . ولست ممن يستحسن او يقبح شيئا من هذا القبيل إلا اني اقول كلمة واحدة طالما سمعتها من افواه العماريين والرجال المصلحين وهي ان طريقة توزيع الاراضي الزراعية في لواء العمارة اشبه شيء بالطرق المتبعة في القرون الوسطى المعروفة بقرون الاقدان والفروسية وكفى .

٣ — تنظيمات اللواء الادارية

يتقوم لواء العمارة من قضائين هما (قضاء علي الغربي وقضاء قلعة صالح) ومن ناحية واحدة يقال لها (ناحية المشرح) ومركز اللواء الذي مر البحث عنه واربع قرى مهمة : وهي المسيعدة وكميت والمجر الكبير والمجر الصغير . وكيفية ادارة هذه القرى تكون بتعيين رئيس بلدية لكل منها ولهذا الرئيس سلطة جزائية محدودة من الدرجة الثالثة للنظر في الدعاوي الجزائية الطفيفة التي تحدث في قريته ، وجميع هذه القرى مربوطة بمركز اللواء رأسا .

وهذه القرى الاربع معمورة عمرانا يناسب مراكزها واهميتها الزراعية . واليك الان بعد كل منها عن مركز اللواء مع زمن تمصيرها ونفوسها حسب الاحصاء الرسمي الاخير .

فقرية المسيعدة قائمة على ضفة نهر الكحلاء اليمنى في محل يبعد عن الشمال الشرقي لمدينة العمارة ١٩ ميلا وكانت قبل هذا تعرف بالقلعة . وهي القلعة التي

انشأها الشيخ خليفة رئيس البو محمد عام ١٢٦٥ هـ ونفوسها اليوم ١٣٣٠ نسمة .

وقرية المجر الكبير تبعد عن شرقي العمارة ١٩ ميلا ايضا واسسها الشيخ صيهود احد رؤساء البو محمد عام ١٢٩٣ هـ وقيل ان سبب تسميتها بهذا الاسم يرجع الى وقوعها على النهر المسمى باسمها والذي (يجر) الماء بكثرة من دجلة ونفوسها الآن ٢٦٥٧ نسمة .

اما قرية المجر الصغير فتبعد عن غربي العمارة ١٤ ميلا وهي اقل عمرانا واضعف شأنا من قرية المجر الكبير وواقعة على ضفة النهر المسمى باسمها وقد انشأها رئيس الازيرق الشيخ سلمان عام ١٢٩٥ وتقدر نفوسها بالف نسمة .

واما قرية كميت فقد سميت بهذا الاسم لوقوعها على النهر المسمى باسمها وهي تبعد عن شمالي العمارة ٢٩ ميلا وانشأها الشيخ حطاب احد رؤساء البودراج وذلك في سنة ١٢٩٥ وفيها من النفوس زهاء ١٧٣٠

واما ناحية المشرح فمركزها « الحلفاية » وهي قرية على « المشرح » من الجهة اليسرى وتبعد عن العمارة ٢٠ ميلا وفيها زهاء ١٨٦٠ نسمة .

٤ — قضاء قلعة صالح

« صالح » احد اصحاب الرتب الذين تولوا قيادة عسكر « الهايتة » وانشأت الحكومة العثمانية فرقته عام ١٢٧٠ وكانت رتبته « دلي باش » وهو في الاصل زعيم من زعماء البو محمد شيد بعد انشاء العمارة بخمس سنوات قلعة نسبت اليه فقالوا « قلعة صالح » وهي مركز القضاء المسمى باسمها وكانت تسمى في زمن الاتراك شطرة العمارة تمييزا لها من شطرة المنتفق ثم سميت بقلعة صالح تمييزا لها من قلعة سكر الواقعة في لواء المنتفق . ونفوس « قلعة صالح » اليوم حسب الاحصاء الاخير ٣٠٤٥ نسمة وهي تقع على بعد ٢٨ ميلا من جنوبي « العمارة » وقائمة على ضفة دجلة اليسرى . هواؤها نقي وماؤها نمير واراضيها خصبة ويربطها بالجانب الايمن من دجلة جسر سيار وفيها بعض الدور العامرة والقصور الانيقة الواقعة على ساحل النهر كما ان فيها جملة مبان فخمة للحكومة وهي قائمة على انقاض بلد المذار الشهيرة في التأريخ في وسط البطائح المعروفة . وكانت قبل هذا خاضعة لسلطان المنتفق يدير شؤونها آل سعدون ثم تنازلوا عن ذلك

لحكومة بغداد فكانت قضاءا مستقلا مرتبطـا بلواء العمارة وليس لهذا القضاء اية ناحية وانما يتقوم من مركزه فقط وهو مرجع العشائر والمزارعين .

٥ — قضاء علي الغربي

بين العمارة والكوت قبران في قريتين مختلفتين يحترمهما ابناء الشيعة لنسبة الاول الى « علي » احد احفاد الامام موسى بن جعفر (ع) - على ما يرى - وهو قائم على دجلة من الجهة اليمنى . ولنسبة الاخر الى « علي الشجري » من احفاد الحسن بن علي (ع) وهو قائم على جهة دجلة اليسرى في محل يبعد من القبر الاول ٣٢ ميلا . وقد صحف الاهلون « علي الشجري » فقالوا « علي الشرجي » وكان نعمة بن عرار احد شيوخ بني لام شاد عام ١٢٨١ هـ قرية بقرب القبر الاول سماها « القلعة » إلا ان سكان هذه القرية استبدلوا هذا الاسم بـ « علي الغربي » لوقوعها في غرب « علي الشرجي وهو لفظ العامة لكلمة الشرقي » تمييزا لهـا عن تلك . وهذه القرية هي اليوم مركز القضاء المسمى باسمها . نفوسها ٢٣٠٠ نسمة وتبعد عن العمارة ٧٢ ميلا وليس فيها عمران يذكر اذا استثنينا من ذلك دار قائم المقـام والمدرسة الاميرية ولهـا سوق حقيرة للغـاية ومعظم بيوتها مبنية باللبن وينعطف دجلة عندها انعطافا واسعا يقرب اليه جبال بشتكوه حيث تكون على بعد ١١ ميلا منها . وعلى بعد ستين ميلا منها تقع آبار النفط داخل الحدود الايرانية المسماة بـ (دهلران) وهذه الابار كانت منذ خمس سنوات في يد شركة انجليزية حسب الاصول وقد تركت هذه الشركة اعمالها منذ مدة على اثر استيلاء الحكومة الايرانية على ايالة لورستان .

وليس للقضـاء ناحية وانما ترتبط به قرية يديرها رئيس بلدية يقوم مقام المدير على نمط القرى الملحقة بالعمارة التي مر ذكرها . وهذه القرية هي « الشيخ سعد » وقد اسسها سعد بن يوسف احد رؤساء بني لام عام ١٢٨٨ هـ وهي تقع في منتصف طريق « الكوت الى علي الغربي » وتقـدر نفوسها بالف نسمة اما مبانيها فمناسبة اهميتها وموقعها .

٦ — المعارف في اللواء

نصيب لواء العمارة من المعارف في العراق احسن بكثير من نصيب بقية

الالوية منه اذ لا تخلو قرية من قراه او قضاء من اقضيته من مدرسة للحكومة ايا كان عدد صفوفها . ففي مركز اللواء ثلاث مدارس للذكور ورابعة للاناث وخامسة ثانوية هذا عدا مدرستين اهليتين احداهما اسرائيلية والثانية اسلامية ومجموع مدارس الحكومة في هذا اللواء ١٣ فاذا اضفنا اليه المدرستين الاهليتين كانت مدارس اللواء ١٥ وهو قدر لا تتمتع بمثله بقية الالوية لو قايسنا عدد النفوس فيها بعدد نفوس هذا اللواء وهذا مما يدل على عظم مستقبل لواء العمارة العلمي كما هو ممتاز عن بقية الالوية بعظمته الزراعية وطيب هوائه .

٧ — مياه اللواء

يتشعب من ضفة دجلة اليمنى على مسافة خمسة اميال من العمارة (بين العمارة وقرية كميت) نهر عظيم تقوم على ضفتيه مزارع جسيمة يقال له البتيرة (بالتصغير) فهذا النهر ينقسم الى قسمين مهمين يرويان القاطعات الجسيمة القائمة على ضفافهما . يمر القسم الاول بالاراضي (المجر الكبير) حيث تصب مياهه في هور الكباب بمقاطعة الشيخ مجيد الخليفة وتسقي مياه القسم الثاني مقاطعة الشيخ حمدان السكر ثم تصب في هور العبد الذي هو الحد الفاصل بين لواء العمارة ولواء المنتفق .

ثم ان دجلة بوصوله الى العمارة ينقسم الى قسمين يتجه احدهما نحو الجنوب فيختلط بالفرات عند « القرنة » حيث يتكون « شط العرب » . ويجري الثاني نحو الشرق ويقال له نهر الكحلاء لجريانه في نهر قديم كان يعرف بهذا الاسم ومنه تتفرع عدة شعب تنتهي مياه جميعها في القسم الجنوبي من دجلة . واهم هذه الشعبات نهر المشرح (بتشديد الراء وفتحه) القائمة عليه ناحية المشرح المعروفة بارض السواعد وقد سمي بهذا الاسم لانه مشرح تشريحا اي متشعب تشعبا من دجلة وتصب مياهه في هور ام السجيان ومنه الى هور ام طفر حيث يصب نهر الكحلاء وكلا النهرين « الكحلاء والمشرح » قديم .

اما اصل دجلة الذي يتجه نحو الجنوب ويختلط بنهر الفرات فيتشعب منه شعب عظيمة اهمها شعبة المجر الصغير التي تسمى « الطير » ايضا ثم شعبة المجر الكبير وتليهما شعبة المكرية . وعلى كل من هذه الشعبات مزارع عظيمة ومضخات

كثيرة ويكفينا ان نقول ان في لواء العمارة اكثر من مائة مضخة .

٨ـ عشائر اللواء

في لواء العمارة اكثر من ١٢٥,٠٠٠ نسمة من العشائر شأنها الزراعة بوجه واسع كما هو الحال في بقية الالوية العراقية . واهم القبائل القاطنة في هذا اللواء : بنو لام والبو محمد والبو دراج وآل ازيرق والسودان والسواعد .

« فعشائر بني لام » يسكنون القسم الشمالي من اللواء على ضفتي دجلة وهم محادون احيانا لجبال بشتكوه الايرانية التي يرعون فيها اغنامهم لجودة المرعى هناك . و « البو محمد » يقطنون في الجهة الجنوبية من قرية مسيعيدة حتى قضاء قلعة صالح ويحادون في الضفة اليمنى من دجلة لواء البصرة ولواء المنتفق ولهم عدة شيوخ كشيوخ عشائر بني لام . و « البو دراج » يرون على الضفة اليمنى من دجلة فقط في ضواحي قرية كميت . و « آل ازيرق » ينزلون على ضفتي (المجر الصغير) . والسودان يسكنون على ضفتي نهر البحائة المتشعب من نهر الكحلاء . والسواعد يحلون في الجهة الشرقية من مركز اللواء من حدود ناحية المشرح حتى حدود قرية المسيعيدة .

والمشيخة في لواء العمارة لا تنال عن شرف او رفعة او جاه او صولة بل خاضعة للتزمي المقاطعات في اللواء . فكل من التزم مقاطعة هناك خضع له الفلاحون بحكم وظيفته وسيطرته المالية فاذا انتهى اجل التزامه ولم يجدده : انفصل عنه جميع اتباعه .

٩ — نتاج اللواء

اهم الحاصلات في هذا اللواء الارز اذ يقدر النتاج فيه بنحو مائة مليون اقة ثم يلي ذلك الحنطة والشعير فالسمسم فالذرة فالماش فسائر انواع الحبوب ومن صادراته التي لا يستهان بقدرها السمن والصوف والجلود والطيور المائية . وتختص عشائر بني لام فيه بنسج البسط الوطنية الفاخرة وتجبي الحكومة من جميع الحاصلات الزراعية نحو ٢٧ لكا من الربيات اما مجموع حصتها من جميع الحاصلات والضرائب والرسوم فهو (٣,٠٨٩,٧٢٥) ربية حسب الاحصاء العام المتصرم . وفي اللواء قدر صالح من النخيل والاشجار المثمرة والخضراوات التي تصدر الى الاقطار المجاورة .

السيد عبدالرزاق الحسني